وقمنا الى السيارة ، ولما تبوأنا مقاعدنا جاءت النوبة وهمست فى أذن صاحبها

— أيوجد مثلنا أناسٌ يذوقون حرَّ سياط الجنود الغلاظ الأكباد ؟ وهل يساوينا أحدٌ فى هذه النعمة ؟

— نعم يا فتاتى ، ليست هى على ظهوركم بأشد نكاية وألما وأثقل وطأة منها على ظهور الأحرار

— ومن هم الأحرار ؟؟

لا أدرى ، أخشى سياطهم إن تفوهت ، وتلمس جنبه كأنما أحس بألمها ، هم ، هم صفـ . . . وة رجال الو . . . طن ، فى كل أمة ، سلى عنهم مصر ..! وضاع الصوت فى لجب هذه الرعناء ؟

شرق الأردن — عبد الحليم عباس

حول مقال الشخصية

جاء فى عدد (٦٨) من مجلة الرسالة الغراء فى مقال الأستاذ محمد عطيه الابراشى عن الشخصية بعض الأخطاء من الوجهة العلمية :

فقد قال الأستاذ :

(٢) « والغدد النكفية وهى غدد صغيرة أسفل العنق ولها صلة بالذكاء ، فاذا كانت قوية الافراز كان الشخص ذكياً وبالعكس . »

ومن المعلوم أن الغدد النكفية هى الغدد التى بجوار الأذن وليست بأسفل العنق ، وتسمى بالانجليزية « Parotid » وليس لها أى دخل فى الذكاء ، بل كل إفرازها يصب فى الفم بواسطة قناة يقرب طولها من الثلاثة سنتيمترات ، ووظيفة إفراز هاتين الغدتين كما دلت كل التجارب هى تحويل النشويات « Cabobydiate » إلى « ملتوز » « Maltose » ولها وظيفة ثانية هى المساعدة على ازدراد الطعام وتليينه وليس لها غير هاتين الوظيفتين

أما قوله بأنها غدد صغيرة فى أسفل العنق فأظنه قد أراد الـ Parathyroid وهذه الغدد أيضاً ليس لها تأثير كما هو ثابت على الذكاء بل تأثيرها على « الكلسيوم » الموجود بالدم ومن ثم على العظام نفسها ، ولهذه الغدد وظيفة أخرى خاصة بالأعصاب ، إذ لو قطعت هذه الغدد لأصبح تأثر العضلات سريعاً ولاشتدت قوة انقباضها ، وليس لها غير ذلك كما ثبت بالتجارب وقد يكون لها ، لكن العلم لم يقل كلمته بعد

وقد سمى حضرته الـ Thyroid بغدة تفاحة آدم ، وأظن أن من المستحسن إطلاق الاسم العربى المتداول وهو الغدة الدرقية فهو أسهل وأقصر

محمد رضوان
بكلية الطب

بين فن التاريخ وفن الحرب

٧ ـ خالد بن الوليـــد *

فى حروب الردة

للفريق طـــه باشا الهـاشمى
رئيس أركان الجيش العراق

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى بدنى شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعـير ! فلا نامت أعين الجبناء »

خالد بن الوليد

معركة بزاخة :

يقول ابن الكلبى إن بزاخة ماء لبنى أسد ، ولم يوضح لنا ياقوت هذا المحل فى معجمه ، والذى يلوح لنا أنه فى جنوبى فيد فى وادى الغمير على الطريق الذى يصل فيد بالبريدة . فالأرض فيه سهلة وهى صالحة للقتال

ولعل المعركة وقعت فى نهاية ايلول « سبتمبر » أو فى نهاية تشرين الأول « أكتوبر » إذ مضى على حركة خالد من ذى القصة ما يقارب الخمسة عشر يوماً ، وبعد أن أمن خالد جانب طيء واستنجد بهم تقدم رأساً نحو بزاخة ريد طليحة

وتقدمت أمامه قوة استطلاع بقيادة عكاشة بن محصن وثابت ابن أقرم ، وتدل الأخبار على أن المرتدين باغتوا هذه القوة وقتلوا قائديها ، وكانا من فرسان المسلمين المشهورين ، وكان جيش طليحة متأهباً للقتال يقود بنى أسد سلمة أخو طليحة ، ويقود فزارة عيينة ابن حصن ومعه سبعمائة فارس من فزارة

ومن الروايات ما يدل على أن خالداً وقف بالغمير قبل شروعه فى القتال ، وإن كانت الرواية التى يرويها الطبرى نقلاً عن سيف لا تذكر ذلك بوضوح ، وخلاصة الرواية أن أحد المسلمين أخذ رجلاً من بنى أسد فأتى به خالداً ، وكان الرجل عالماً بأمر طليحة فسأله خالد عما يعلمه عن طليحة

(*) وهو بحث فى قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل . « الرسالة »

وموقع الغمير رابية تشرف على مياه بزاخة واسمه فى الخريطة جبل الغمير ومنه ينصب وادى الغمير

ولعل خالداً أرسل قوة الاستطلاع من هذا الموقع ليستكشف قوة العدو وموضعه وجيش المسلمين فى موضع مسيطر . ولعل عكاشة وثابتاً قتلا لما كانا يقومان بالاستطلاع فقتلتهما الطليعة التى أوفدها طليحة بقيادة أخيه سلمة فنصب كميناً لقوة الاستطلاع وباغتها ، ولما اطلع المسلمون على مقتل عكاشة وثابت هالهم الأمر

ومن الروايات ما يشير الى أن خالداً لم يزور عن طريقه كما تقدم من ذى القصة الى بزاخة إلا بعد ما رأى الجزع المستولى على أصحابه عند مقتل عكاشة وثابت فمال بهم إلى حى طئ وقال لهم « هل لكم الى أن أميل بكم الى حى من أحياء العرب كثير عددهم شديدة شوكتهم . . . الخ »

ولعل هذه الروايات ذكرت لتسويغ ازورار جيش خالد عن طريقه نحو بلاد طئ على ما أثبتناه فيما تقدم ، إذ لا يعقل أن يصيب المسلمين الجزع بمجرد أن يقتل منهم فارسان ، والروايات ذاتها تذكر قتل عكاشة وثابت بيد طليحة وأخيه سلمة بمعنى أن القتال وقع بالقرب من بزاخة فيكون من الصعب أن يدير خالد ظهره ويترك عدوه ويتوجه نحو بلاد طئ بينما كان أهلها مترددين

والواضح من هذه الروايات أن خالداً قدر الموقف قبل مسيره من ذى القصة

القتال

رتب خالد جيشه فى خط القتال وجعل الأنصار والمهاجرين فى الميسرة ورجال القبائل فى الميمنة ، ولعل أهل طئ كانوا فى القلب مع بعض القبائل

أما جيش طليحة فكان عيينة بن حصن مع سبعمائة فارس من فزارة فى الصف الأول ، وكان طليحة بن خويلد فى القلب يشرف على القتال ، وفى أطرافه أربعون فتى من بنى أسد استماتوا فى الدفاع عنه . وكانت راية بنى أسد حمراء رآها المسلمون من بعيد

وتدل الأخبار على أن القتال بدئ بهجوم الفريقين أحدهما على الآخر ، فكان عيينة بن حصن يقود الفرسان ، أما جال وسلمة أخوا طليحة فكانا يقودان المجنبتين من جيش الأعداء

. ويذكر الواقدى نقلاً عن رجل من هوازن حضر قتال بزاخة أن المسلمين فازوا بالمعركة بفضل البطولة التى أبداها خالد ابن الوليد

ويقول الراوى إن ميمنة المسلمين ارتدت على أعقابها لما هاجمها الأعداء فأثر ذلك فى الميسرة فانسحبت بدورها ، فتدارك الأمر خالد بحملته على الأعداء وندائه يا أنصار الله ! الله ! فحمس هذا النداء المتراجعين وكروا على الأعداء ملتفين حول خالد فتقاتل الفريقان بالسيوف ، فترجل خالد عن ظهر جواده وحارب راجلاً ، ولما رأى أصحابه أن الخطر محدق به التمسوا منه أن يترك خط القتال ويقف فى الوراء ويقود الجيش إلا أنه امتنع عن ذلك . وفى رواية أخرى للكلبى أن المسلمين لما تراجعوا أتى رجل من طئ خالداً وكلفه بالاعتصام بجبل سلمى وأجأ ، إلا أن خالداً رد طلبه قائلاً إنه يعتصم بالله

وبقى طليحة فى القلب الى أن قتل فتيانه جميعاً فانسحب الى الوراء والتف بكسائه يتحين الفرص . ولما ضاقت الدنيا بعيينة بن حصن سأل طليحة هل جاء الوحى ؟ وهذا يقول له لا فيرجع يقاتل ، وفى الكرة الثالثة قال طليحة لعيينة إن الوحى يقول له : « إن لك رحى كرحاه وحديثاً لا تنساه » فتأكد عيينة أن الدائرة تدور عليه ، فنادى يا بنى فزارة انصرفوا فهذا والله كذاب . فانصرفوا وانهزم الناس

أما طليحة فأعد فرسه وهيأ بعيراً لامرأته فوثب على فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها ، ولما سأله قومه ماذا يأمر ، قال « من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فليفعل »

وقع عيينة أسيراً بيد خالد فكبله بالحديد وأرسله مخفوراً الى المدينة

وكان المرتدون قد تركوا عيالهم خلفهم فى محل أمين لكى لا يصيبهم المسلمون ، لأن العرف كان يقضى فى ذلك الزمان بسبى النساء واتخاذهن إماء ، ولم تنته المعركة حتى عاد الكثير من بنى أسد وفزارة إلى خالد وجددوا إسلامهم خشية على الذرارى

واغتنم المسلمون غنائم كثيرة فى معسكر الأعداء من جمال وحمير وسلاح وغير ذلك . لم يكتف خالد بهذه الغنائم بل أوفد السرايا إلى جهات مختلفة لمطاردة المنهزمين والتقت بهم فى جنل

رمان فى جنوب جبل سلمى وفى الأبانين على جانبي وادى الرمة وهما رابيتا أبان الأسود فى شمالى الوادى وأبان الأبيض فى جنوبه وأسرت كثيرين منهم وصادرت خيلهم وسلاحهم

ولما نشب القتال بين المسلمين والمرتدين فى بزاخة كان بنو عامر بن صعصعة على الحدود يراقبون مجرى القتال وينتظرون العاقبة

وبعد أن انتهى خالد من أمر بنى أسد وغزارة عرج على حى طيء ومكث بين أكناف سلمى وأجأ ، ولعله أراد بذلك أن يقرب من حى بني عامر وينهى أمرهم . هذه القبائل كانت فى الأرض الواقعة الى شمال شرق بلاد طيء بين الدهناء وجبل شمر

فأوفد بنو عامر وغطفان وفودهم إليه وجددوا إسلامهم . بيد أن خالداً لم يكتف بذلك بل فرض عليهم جانباً كبيراً من السلاح جزاء ترددهم كما أنه جمع سلاحا من بني أسد أيضاً

وكان للسلاح شأن كبير فى هذه الحروب ، وكان المسلمون بحاجة اليه ليجهزوا به الجيوش ، وسبق أن أغنياء الصحابة فى عهد الرسول كانوا يجهزون المقاتلين للغزوات

واحتفظ خالد بهذا السلاح ووزعه بعد ذلك على رجال القبائل الذين أسرعوا إلى الأنضمام الى جيشه كما وثقوا بالنصر

القتال فى ظفر :

تدل الأخبار على أن خالداً لم يمهل الشاردين بل إنه لما علم أن أم زمل سلمى جمعتهم حولها فى ظفر وشجعتهم على المقاومة توجه فوراً نحوها فقاتلها قتالاً شديداً وهى واقفة على جمل أمها أم قرفة تحمسهم على القتال ، وقد اجتمع على الجمل جمع من فرسان المسلمين فعقروه وقتلوها وقتل حول جملها كما تذكر الرواية مائة رجل . وكان قيام أم زمل وتشجيعها للناس على قتال المسلمين طلباً للثأر

المطاردة :

ورب منتقد يعتب على خالد إهماله المطاردة بعد انتصاره فى بزاخة إذ كان فى وسعه أن يطارد الأعداء ولا يمهلهم للمقاومة مرة أخرى ، إلا أن العتاب ليس فى محله ، لأن القتال فى البادية مع القبائل لا يشبه القتال فى الحواضر ، فالقبائل بعد أن تغلب تنهزم الى جهات مختلفة بعد أن تترك حيها وتلجأ الى الأحياء القريبة وتستنجد بها ولا تقصد هدفاً ترمى اليه . وكان خالد مضطراً الى البقاء فى بزاخة ليقبل إسلام المرتدين ويعاقب من مثل بالمسلمين منهم عملاً بوصايا أبى بكر

وكان خالد قبل ذلك أوفد انسرايا الى أنحاء مختلفة ليقضي على المتشردين فقاتلهم فى جبل رمان على حدود طيء ، وقاتلهم فى الأبانين على حدود بنى سلم ، وقاتلهم فى النقرة على حدود بنى تميم فكل ذلك يدل على أن خالداً استثمر نصر بزاخة ولم يمهل المنهزمين بل طاردهم بكل شدة

يقع موقع ظفر كما يذكر ياقوت الحموى بالقرب من حوأب ، وهذا على الطريق بين البصرة والمدينة . كانت عائشة قد تشاءمت من نباح كلابه لما رحلت من المدينة الى البصرة للأشتراك فى وقعة الجمل . ولعل موقع ظفر يبعد عن بزاخة مسافة مرحلتين وهو الى شرق كهفه . فالفلول الشاردة من بزاخة التجأت اليه ، وكانت أم زمل تحرضهم على الاجتماع فيه لمقابلة خالد . فالمسافة بين بزاخة وظفر يجب أن تكون بعيدة بدرجة أنها تساعد الفلول على الاجتماع مرة أخرى للقتال

تقدم سير خالد نحو البطاح لقتال بنى تميم

البطاح : — لانعلم بالضبط المدة التى قضاها خالد فى حى بنى أسد بعد أن انتصر على طليحة فى بزاخة . والمؤكد أن خالداً استثمر فوز بزاخة فقام بمطاردة فلول الجيش المنهزم ، ولما سمع أن بعض الفلول اجتمع فى ظفر تحت راية أم زمل تقدم بجيشه اليهم وهزمهم شر هزيمة كما أشرنا الى ذلك فيما تقدم

والظاهر من ذلك أن خالداً قضى أكثر من شهر فى حى بنى أسد على أقل تقدير ، ولما استتب له الأمر فى نجد وتأكد معونة طيء ودان له بنو عامر وبنو صعصعة انتهز الفرصة ليتقدم نحو بنى تميم

وكان بنو تميم من أقوى القبائل العربية لكثرة عددها وخصب أرضها وشدة بأسها . وتنقسم هذه القبيلة الى أربعة أقسام :

القسم الأول — الرباب وهم من شعب ضبة وعبد مناف

القسم الثانى — عوف والأبناء ومقاعس وبطون وهم من شعب سعد بن زيد مناة

القسم الثالث — بهدى وخضم وهم من شعب بن عمرو

القسم الرابع — حنظلة ويربوع وهم من شعب بني مالك

وكان الزبرقان بن بدر يترأس رباب وعوفاً والأبناء ، وقيس ابن عاصم يترأس مقاعس والبطون ، وصفوان بن صفوان يترأس بطن يهدى ، وسبرة بن عمرو يترأس بطن خضم ، ووكيع بن مالك يترأس بني حنظلة ، أما مالك بن نويرة فيترأس بني يربوع وهم فرقة من بني حنظلة

وكان بنو يربوع يسكنون أرض الحزن غربي الدهناء ، أما بنو حنظلة فيسكنون الدهناء والصمان ، وأرض الصمان في شرق الدهناء والحزن والصمان كلاهما ذو مراع خصبة يضرب بها المثل

وكان من حسن حظ المسلمين أن هذه الشعب والبطون لم تكن متصافية فيما بينها ، ويظهر أن الخصومة كانت متأصلة فيها من قبل الأسلام . فصفوان وسبرة متفقان ، أما قيس بن عاصم فخصم للزبرقان

وكان الزبرقان وصفوان يميلان الى المسلمين وينتظران المعونة منهم ليتفوقا على خصومهما . أما قيس بن عاصم فكان متردداً . وأما وكيع بن مالك ومالك بن نويرة فتظاهرا بالعداء للمسلمين ، وكان العداء متأصلاً في نفوس الرؤساء لدرجة أن البطون والشعب كانت تتقاتل

ولما ظهرت سجاح اشتد هذا العداء ، وادعت سجاح النبوة في بني تغلب في أرض الجزيرة بين دجلة والفرات ، وهي ترتبط ببني يربوع برابطة القرابة ، فجمعت حولها جموعاً من بني تغلب وبني نمر وبني اياد وبني شيبان ، وتقدمت بهم الى بلاد بني تميم ، ويدل مجرى الوقائع على أنها ادعت النبوة قبل وفاة الرسول

ماذا كانت تقصد سجاح بمسيرها جنوباً نحو بلاد تميم ؟ هل أرادت أن تمهد السبل لتأسيس مملكة بين العراق ونجد تضم فيها قبائل بني تغلب والبعض من بطون بكر وبني تميم ؟ أو أنها أرادت الهجوم على المدينة كما يروى سيف بن عمر ؟ ثم هل شرعت في المسير قبل وفاة الرسول أو إن وفاته شجعتها على المسير ؟ هذه أسئلة تصعب الاجابة عنها بصورة جازمة . والذي يلوح لنا أنها لم تكن تقصد لاهذا ولاذاك ، وكلما برزت بالكهانة وأحسنت السجع فالتف حولها الناس ، وأرادت أن تستغل نفوذها فسارت برجالها ، وكلما مشت كثر أتباعها حتى أدى بها المسير الى الدخول في أرض بني تميم . ومع ذلك فمن المحقق أنها بدخولها ديار بني تميم أرادت أن تستفيد من القرابة التي تربطها بهم . وهذه القرابة غير واضحة ، ومن الرواة من يزعم أنها تميمية من بني يربوع وأخوالها من بني تغلب ، ومنهم من يدعي أنها تغلبية وبنو يربوع أخوالها . والواضح من أخبار الرواة أنها دخلت بلاد بني تميم بعد وفاة الرسول ، وكان دخولها مما زاد الشحناء بين رؤساء بني تميم فأراد كل منهم أن يستغلها لمصلحته ، والغريب في أمر بني تميم أنهم لم يخضعوا لرئيس واحد أسوة بالقبائل الأخرى ، فكان لبني أسد رئيس ولبني حنيفة رئيس ولغطفان رئيس وهلم جرا

يتبع

طه الهاشمي

أهم كتاب في اللغة العربية

القاموس المحيط

لمجد الدين الفيروزابادي

لا يستغني عنه عالم ولا متعلم ، يعين على حل المشكلات وفهم المعضلات

في أربعة أجزاء ضخام . طبع جميل ، على ورق صقيل ؛ ويطلب من المطبعة المصرية تليفون ٥١٧٠٤ وثمنه خمسون قرشاً صاغاً خالصاً أجرة البريد . بادر بطلبك الآن قبل ارتفاع السعر أو نفاد النسخ ، ويوجد منه ورق عادي بخمسة وثلاثين قرشاً